

غسان كنفاني في أدباً مقانلاً...

الثوري يعمد بالدم !

بقلم أحمد محمد عطية

المحتلة ، وعن طريق كتابه الرائد « أدب المقاومة في فلسطين المحتلة » - أول مرجع عربي عن أدب المقاومة الفلسطينية في الأرض المحتلة الصادر قبل النكسة عام ١٩٦٦ عن دار الآداب - وعنه عرف العالم لأول مرة بأسماء محمود درويش وسميح القاسم وسالم جبران وغيرهم من شعراء المقاومة ، ذلك الكتاب الذي استغرق عامين من جهد غسان كنفاني وعمره . وكان أيضاً رائداً في ميدان دراسة الأدب الصهيوني بكتابه « في الأدب الصهيوني » الصادر - في عام النكسة - عن مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ، سلسلة دراسات فلسطينية ، العدد ٢٢ - فكان هذا الكتاب أيضاً « أول دراسة عربية بقلم عربي باللغة العربية » ، في الأدب الصهيوني بأساليبه السياسية والعنوانية .. » كما وصفه بحق الدكتور أنيس صايغ في تمهيد الكتاب ، وقد تناولت هذا الكتاب بالتحليل والنقد في دراسة سابقة (٢) . أضف إلى ذلك التجديد الفني في الشكل الروائي بروايته القصيرة « ما تبقى لكم » التي تعد واحدة من أعظم الروايات العربية الحديثة مسيرة للتكنيك الحديث في الرواية العالية من حيث تداخل الأزمنة والأماكن وتقطيع الحدث وتدفق تيار الوعي والكتابة دفعة واحدة دون فصول أو فواصل ، مع تعدد الضمائر والرؤى . وفي العمل الصحفي قدم غسان كنفاني سلسلة تحقيقات صحفية هامة بمجلة « الحرية البيروتية تحت عنوان « محاولة لاكتشاف العقل الصيني » (١٩٦٦) في أعقاب رحلته إلى الصين الشعبية التي اعتقد بأنها أسهمت في إكمال فكر غسان كنفاني الثوري .

لقد صمم غسان كنفاني - كما فعل « حامد » بطل روايته « ما تبقى لكم » - على تحدي العدو ومقاومة العنف بالعنف ، وأيقن كما قال فانون « أن الإنسان المستعمر يتحرر في العنف بالعنف » (٣) أنه يتحدى قتل المذبذقة ، يتحدى الموت بالموت ، لقد وجد في العنف والدم قصيته ، فوهب لها حياته . « أن جيش الاستعمار - التثمة على الصفحة ٨٥ -

كثيراً ما فكرت بأن الثورة الفلسطينية المسلحة ، يمكن تلخيصها بعد طرح انتقادات أصدقائها وأعدائها - في أنها ميلاد جديد لنوعية جديدة من الثوري العربي ، ميلاد يرد الاعتبار للكلمة والفكر الثوري ، فبالعنف والدم يعتمد الثوري العربي الجديد ، الثوري المقاتل بالكلمة وبالسلح ، بالفكر وبالفعل ، بعد أن خيمت عليه لغة الكلام حتى ابتدلت وكف عن الفعل زمناً طويلاً منذ حقق بالدم حرية الجزائر وركن إلى أسلوب الانقلابات والثورة « من فوق » والتبرير والتهيل والاندفاعات الانفعالية . وعندما كانت الثورة الفلسطينية منتصرة ومتقدمة لفصل عارنا الراكدين في بيوتنا نستجدي الأخبار أو نتطلع إلى السماء في انتظار معجزة لا تأتي ، كان الكل معها يشيد بها ويتمسح فيها ، أما عندما انتكست الثورة بفعل أعدائها وسكوت أصدقائها وأيضاً بسبب أخطائها كمولود جديد يحمل أخطاء البدايات وتراث العمل الثوري العربي مشاكله وخلافاته - عندما انتكست الثورة الفلسطينية بعد مذابح سبتمبر (أيلول) ١٩٧٠ ، بدأ الجميع في رؤية أخطائها وفي الانفضاض من حولها . أما غسان كنفاني فهو النموذج الرائع للثوري الكامل ، الثائر أبداً ، في المد والجذر الثوريين ، في الركود والانتصار والانتكاس . لذا كان مدخلي إلى هذه الرؤية للثورة الفلسطينية من خلال تجربة غسان كنفاني الثورية العظيمة . كنت أتابعه - على البعد - وأعجب به هو البطل المبقر بين المصايين بالكساح وهزال الفكر والكلمة والعقل ، ولعل هذا ما دعاني إلى كتابة تلك المقالات والدراسات المتعددة في أدبه ونضاله . (١) لأنه الكاتب الذي كانت قصيته هي حياته . هذا النموذج الفدائي لأديب القضية الذي افتقده الأدب العربي الحديث في طين الكلمات الجوفاء ذات الرنين الصاخب للكاذب .

غسان كنفاني الصحفي والأديب والفنان والسياسي ، ذلك الرجل الفدائي المتعدد المواهب في فنه ، الرائد في دراساته النقدية ، إليه يعود الفضل في اكتشاف أدب المقاومة وشعراء المقاومة في الأرض

(١) راجع مقالات ودراسات الكاتب في أدب غسان كنفاني ، المنشورة بمجلة « الكتاب العربي » القاهرة عدد مايو ١٩٦٧ ، ومجلة « الآداب » البيروتية عدد الثورة الفدائية مارس (آذار) ١٩٦٩ والملاحق الأدبية لجريدة « الأخبار » القاهرة عدد ١٥ فبراير ١٩٧٠ . والعدد الأسبوعي لجريدة « الحقيقة » الليبية أعداد ١١ و ١٨ و ٢٥ يوليو وأول ٨ و ١٥ و ٢٢ أغسطس ١٩٧٠ .

(٢) راجع دراسة الكاتب « الرواية الصهيونية من الحلم الصهيوني إلى الحرب التوسعية » ، مجلة الآداب ، العدد الثاني فبراير (شباط) ١٩٧٢ .

(٣) فرانز فانون - معذبو الأرض ، الترجمة العربية للدكتور سامي النروبي والدكتور جمال الاتاسي ، نشر دار الطليعة ببيروت ، الطبعة الثانية يناير ١٩٦٦ ص ٨٦ .

غسان كنفاني اديبا مقاتلا

— تابع المنشور على الصفحة ٧ —

يصبح كاسرا . فهو يقوم بعمليات تطهير ، ويشن حملات انتقامية ، ويقتل النساء والاطفال . والمناضل يعرف ذلك . ان هذا الانسان الجند يبدأ حياته من نهايتها . انه يعد نفسه ميتا بالقوة . وسوف يقتل . انه لا يرتضي ان يعرض نفسه للقتل فحسب ، بل همسو موثق بانه مقتول لا محالة . لقد بلغ من فرط رؤيته لاحتضار الآخرين انه لا يريد ان يعيش بقدر ما يريد ان ينتصر . غيره سيستفيد من النصر ، لا هو . لقد سئم هو . لكن هذه السامة هي مصدر شجاعة لا تصدق . نحن نجد انسانيتنا سابقة على الموت والياس ، اما هو فيجدها بعد المذاب وبعد الموت . نحن كنا ننشر هواء ، اما العاصفة فهو . انه ابن الصنف يستمد منه في كل لحظة انسانيته . لقد كنا بشرا على حساب ، وهو يصبح بشرا على حسابنا ، يصبح انسانا افضل . « (٤) » .

لقد حرص غسان كنفاني كاتبنا وناقدا ودارسا وفنانا على تحليل ظروف القضية الفلسطينية ودراسة اسباب ثورتها وانتكاساتها والانطلاق من هذا التحليل الى دراسة ظروف العدو يروح علمية ، للخروج من كل ذلك برؤيا نافذة وتنبؤ صادق وطريق لنضال المستقبل .

ففي كتابه « ادب المقاومة في فلسطين المحتلة » الذي يشير بوضوح الى تفرد غسان كنفاني وحرصه على تقديم الجديداكتشاف الارض البكر التي لم تطرق من قبل — في هذا الكتاب نرى كيف ارتقت النكبة عقل غسان ووجدانه ، وكيف عني بتتبع آثار النكبة على الانسان الفلسطيني في داخل الارض المحتلة وخارجها ، فرأى ان نكبة فلسطين (١٩٤٨) لم تكن مجرد كارثة كمية على أهل فلسطين ، ولكنها كانت ايضا وبشكل أخطر كارثة كيفية ، بمعنى انه بقدر ما خفف العدوان الصهيوني من عدد العرب في فلسطين نتيجة لعمليات الابادة الاجرامية التي شنت ضد مواطنين عزل ، حتى انخفض عددهم الى حوالي ربع مليون عربي فقط ، فان نوع الباقين قد تأثر هو الآخر نتيجة لفرار اغلب سكان المدن والمثقفين الى البلاد العربية المجاورة ، فلم يتخلف سوى سكان القرى الذين كانوا يعيدون من كل وعي سياسي وفكري ، ومن ثم فقد كان الوضع مهيأ لقوات العدو كي تمارس مزيدا من القمع ضد أي وجود فكري عربي ، وايضا كي تثبت تيارات مشبوهة تعمل من داخل التنظيمات الصهيونية والفكر الصهيوني . بينما ينتج عن رحيل القيادات السياسية والفكرية وقطاعات المدن المثقفة الى البلاد العربية ، فترة صمت حزين ، صمت ذاهل من هول الصدمة . ثم تحول الى ادب هاديء حزين .. وفي الجانب المقابل ، في داخل فلسطين المحتلة ، التي تبقى فيها عرب يعملون في الزراعة ، بوسائل متخلفة عتيقة ، ويفتقرون الى وجود ثقافي عربي ، رزح العرب تحت نير القهر الصهيوني والحصار الثقافي الكامل ، المتمثل في تحول المدن العربية — التي تفرخ عادة القيادات الثقافية والفكرية — الى مدن يهودية محرمة وعدوة . ويتمثل ايضا في قيام جدار اريهابي يفرض عزلة العرب في الداخل عن كل حركة ادبية عربية في الخارج ، ويضعف امكانية قيام وجود ثقافي عربي على أسس متقدمة ، واصبحت حركة النشر كلها في أيدي صهيونية ومن خلال أجهزة صهيونية لا تنشر بالطبع ما يعبر عن الوجدان العربي والفكر العربي ، كما ان الرقابة العسكرية الارهابية التي لا بد ان يمر تحت بصرها وسمعها كل عمل أدبي عربي . تقتل كل عمل صادق ولا تسمح الا بنشر مجموعة

(٤) جان بول سارتر ، مقدمة كتاب معذبو الارض ، الترجمة العربية

ص ٣٠ .

من التفاهات والاعمال الرخيصة . وفي مواجهة هذا الارهاب الفكري ، وبرغم الحصار الثقافي ، بشر غسان كنفاني بالامل في بعث الشخصية الفلسطينية اذ اثبت الادب الفلسطيني وجوده وتسلم مسئولياته مقدرا انه لا بد أولا وآخرا ان يكون ادب مقاومة ضد الاحتلال الصهيوني ، وكان الشعر هو الوجه البارز من وجوه ادب المقاومة الفلسطينية داخل الارض المحتلة . وتوصل غسان كنفاني الى ملحوظة هامة عن يسارية شعر المقاومة قائلا : « انه في تعداد الظواهر الديرة لشعر المقاومة العربي في الارض المحتلة ، ظاهرة عامة تلاحظ بوضوح كلي : هي ظاهرة يسارية شعر المقاومة هذا . » (٥) ان غسان كنفاني بشيد بالجهد النضالي والوجه القوام لادب المقاومة الفلسطينية « ان ادب المقاومة العربي في الارض المحتلة يقدم لتواريخ الادب المقاوم في العالم نموذجا متقدما في الحقيقة وعلامة جديدة نادرا ما استطاعت ادب المقاومة المعروفة في العصور الحديثة ان تحقق ما يوازيها في المستوى ، مقارنة بمهماته الصعبة وشديدة التعقيد وظروفه التي لا تشابه بين مالدينا من الامثلة المعاصرة الا ظروف المواطنين السود تحت حكم دولة جنوب افريقيا العنصرية ، بل تفوقها قسوة ووحشية . » (٦) وقد استكمل غسان كنفاني كتابه عن ادب المقاومة بدراسة كتبت بعد النكسة وقدمت للمؤتمر السادس للادباء العرب المنعقد بالقاهرة في مارس ١٩٦٨ ونشرت بمجلة الادب الافريقي الاسيوي (٧) . ولخص أهم صفات ادب المقاومة الفلسطينية انه قدم لأول مرة « نموذج الادب المقاتل الذي غاب لفترة طويلة عن حياتنا الثقافية . » ويكتشف غسان كنفاني برؤية الفنان المناضل الثورية ان ادب المقاومة ليس فقط يساريا ولكنه ملتزم بمصدق وواقعية ومرتبطة ارتباطا تاما بهركتي الثورة العربية وثورات التحرير في العالم ، لانه يقوم على اكتاف الكادحين . « ففرضية الالتزام ليست نظرية مجردة ، وكذلك ليست قضية التحرير ، والرؤيا الواضحة لابعاد القضية كهاديء وكوسائل لا تحتل عند ادباء المقاومة في فلسطين المحتلة غموضا أو تشويشا أو مساومة ، وهذا بالذات ما جعل ادب المقاومة الذي رأيناه في فلسطين المحتلة خلال السنوات العشر الماضية ادبا لا ينوح ولا يبكي ، لا يستسلم ولا يياس . » « ان ادب المقاومة في فلسطين المحتلة يرتبط الى بعد اجتماعي ويطرح ولاءه للطبقة الكادحة التي على اكتافها تعلق المقاومة بنادقها ومصرها . » (٨)

غسان كنفاني يعيش القضية الفلسطينية ، يهبها كل جهده وحياته واهتماماته ، وباحساس من مسئوليته كاديب مثقف وملتزم واتباعا للسلوك العلمي في معرفة العدو ، وجه غسان كنفاني جانباً من اهتماماته لدراسة العنصرية الصهيونية من خلال الادب الصهيوني ، فوجد ان الصهيونية السياسية لم تكن الا نتيجة لارهاصات ادبية صهيونية . كما تتركز أهمية هذا الكتاب في فضحه لعملية غسل المخ الدائمة التي يقوم بها الادب الصهيوني للعقل العربي وتهيبته للعدوان الاسرائيلي التكرار ، وحشوه بالكاذب الصهيونية التي تقلب الحقائق التاريخية وتصور العربي في صورة المعتدي المتوحش التعطش للدماء . ولقصد غسان كنفاني من فصح هذه الصورة الواقعية للادب الصهيوني الى اثارة الطريق للاديب العربي الحديث كي تدخل القضية في دائرة اهتمامه وكتاباته ، وحتى لا ينفرد العدو بفكر العالم ويشكله وفق مخططاته العدوانية واحلامه في الغزو والتوسع . « لن يكون من المصادف ان نقرا مثلاً

(٥) غسان كنفاني ، ادب المقاومة في فلسطين المحتلة ، نشر دار الاداب ببيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٦ ، ص ٤٦ .

(٦) و (٧) غسان كنفاني ، ادب المقاومة في فلسطين المحتلة ، مجلة الادب الافريقي الاسيوي ، العددان الثاني والثالث ، المجلد الاول صيف ١٩٦٨ .

(٨) المرجع السابق ص ٧٨ و ٧٩ .

بعد عنوان ه حزيان (يونيو) مقالا عن العرب في مجلة « التاب »
الامريكية (١٤ تموز (يوليو) ١٩٦٧) يقرر بملاحظة وبفضل لا مثل
لها ما كنا قد قرأناه في الروايات الصهيونية عن العرب على اعتبار
ان ذلك مسلمات بديهية لا تتأش (٩)

« واذا كان كوستلر ، وغون ، واوري ، واذا كانت رواية
« الينبوع » و (الانجلوساكسون) و (نجمة في الريح) قد اعطت
الفزو الصهيوني مبررا انه « ينقل الحضارة الى الشرق المتخلف » ،
و « ينقل العرب » وان الاستعمار الاسرائيلي له (مهمة اصلاحية)
فانه لن يدعنا ان نقرأ الكلمات نفسها بالنص تقريبا في كتاب
سياسي كتبه « راندولف وونستون تشرشل » عن عنوان ه حزيان
(يونيو) بعد ان نشر فصولا منه في ال « صنداي تلغراف - تموز
(يوليو) واب « اغسطس » ١٩٦٧ . « (١٠)

وقد عبرت رواياته وقصصه عن تطور الشخصية الفلسطينية ،
وكانت بمثابة دعوة للتحرك من الواقع الفلسطيني المر ونداء للنضال
والثورة . واذا كان من المؤسف ان يقتل غسان كنفاني على ارض
عربية وليس على ارض فلسطين المحتلة كما أراد ، فقد اشاد غسان
كنفاني بموت « الاستاذ سليم » احد شخصيات روايته « رجسال
في الشمس » لانه مات في قريته الفلسطينية قبل ان يدخلها اليهود
بليلة واحدة : « يا رحمة الله عليك يا استاذ سليم ! يا رحمة الله
عليك ! لا شك انك كنت ذا حظوة عند الله حين جعلك تموت قبل ليلة
واحدة من سقوط القرية السكنية في ايدي اليهود .. ليلة واحدة
فقط .. يا الله ! اوجد لمة نعمة الهية اكبر من هذه .. صحيح ان
الرجال كانوا في شغل عن دفنك وعن اكرام موتك .. ولكنك على
اي حال بقيت هناك .. بقيت هناك ! وفرت على نفسك الدل والمسكنة
وانقذت ما افعل الآن ؟ اكنت تقبل ان تحمل سنك كلها على كتفك
وتهرب عبر الصحراء الى الكويت مي تجد لقمة خبز ؟ » (١١)

وتصور روايته الاولى « رجال في الشمس » كيف ضاع الانسان
الفلسطيني بعد اضطراده لمغادرة ارضه المحتلة ، بحثا عن لقمة خبز ،
وعن طريق رصد الواقع الفلسطيني المر لهرب ثلاثة شبان فلسطينيين
الى الكويت في خزان سيارة نقل ، لا يلبث الثلاثة ان يموتوا في
داخل خزان سيارة الخائق دون كلمة احتجاج واحدة ، فتصرخ
الرواية مستفجرة : « لماذا لم يدقوا جدران الخزان ؟ » « وفجأة
بدأت الصحراء كلها ترد الصدى : لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟
لماذا لم تفرعوا جدران الخزان ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ » (١٢) بهذا السؤال
اللاجع تنادي الرواية الفلسطينيين وتحتج على رضوخهم لواقعهم
السيئ وتحضهم على الاحتجاج والرفض ، وتقول ايضا ، بان
لا فائدة من الهرب من ارض فلسطين المحتلة هربا من الموت جوعا ،
فها هم يموتون رعبا بعيدا عن ارضهم الفلسطينية . وتروي الرواية
قصص الكثير من الرجال الذين هربوا من ارضهم فلقوا حتفهم في
صحراء القربة . « كان قد بدأ رحلته مع صديقين من اصدقائه
شبابه ، من غزة عبر اسرائيل ، عبر الاردن ، عبر العراق .. ثم
تركهم الهرب في الصحراء ، وهم لما يعبروا حدود الكويت .. لقد
دفن صديقيه بتلك الاراضي المجهولة .. » (١٣) وعن طريق العصور

(٩) غسان كنفاني ، في الادب الصهيوني ، العدد ٢٢ سلسلة دراسات
فلسطينية ، نشر مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية
ص ١٥٠ .

(١٠) المرجع السابق ص ١٥١ .

(١١) غسان كنفاني ، رجال في الشمس ، نشر دار الطليعة ببيروت ،
الطبعة الاولى ١٩٦٣ ص ١١ .

(١٢) المرجع السابق ص ١٠٦ .

(١٣) المرجع السابق ص ٧٠ و ٧١ .

الفاجعة للنكبة التي حلت بالفلسطينيين يحرضهم غسان كنفاني
على الثورة ورفض واقع النكبة . « في السنوات العشر الماضية
لم تفعل شيئا سوى ان تنتظر .. لقد احتجت الى عشر سنوات
كبيرة جائعة كي تصدق انك شجيرتك وبيتك وشبابك وقريتك
كلها .. في هذه السنوات الطويلة شق الناس طريقهم وانت مقسع
تكلب عجوز في بيت حفير .. ماذا تراك كنت تنتظر ؟ ان تنقب الثروة
سقف بيتك .. بيتك ؟ انه ليس بيتك .. اتمجيك هذه الحياة
هنا ؟ لقد مرت عشر سنوات وانت تعيش كالشحاذ .. » (١٤)

في روايته الثانية « ما تبقى لكم » يعاود بطل غسان كنفاني
الرحيل من الارض المحتلة - عبر الصحراء ايضا - ولكن رحيل
« حامد » بطل « ما تبقى لكم » هذه المرة ليس هربا الى خارج
فلسطين المحتلة ولكن من ارض فلسطينية والى ارض فلسطينية ،
رحيل بهدف اعادة توحيد الارض المحتلة ، الارض الام ، التي تسبب
فقدانها في كل سيئات الواقع الفلسطيني التي صورتها الرواية ببراعة
وصدق ، رحيل بطل غسان الجديد في « ما تبقى لكم » يحبره بعد
تحرك الفلسطيني لاعمال الفداء والتحدى لعنف العدو عن طريق
الفدائي « سالم » ، وعندما يواجه بطل الرواية « حامد » العدو
وجها لوجه ، فانه لا يهرب ولا يخاف ولا يصمت ولكنه يتحدا وبهذا
التحدى العنيف يتحرر « حامد » بطل الرواية ويضع عدوه الاسرائيلي
في فخ الانتظار الذي طالما وضعه العدو فيه . ان حوارا خلاصا
وغريبا يدور بين البطل الفلسطيني ابن يافا وعدوه الجندي
الاسرائيلي الذي اكتشف انه من مخلي يافا ، انه ليس حوارا ، انه
محاكمة . « قلت له (للاسرائيلي) : هيا ، كن رجلا طيبا ودعنا
نتحدث عن يافا . ان الانتظار الصامت لن ياتي الا بالعرب . ولكنه
ظل يحذر الي - بعينه الصيقتين المتبتتين ، كانه لم يفهم شيئا .
« هيا ! كيف انتهى الامر بكل ذلك الهي ، الذي كان يمتد بين
جامع الشيخ حسن وحمام اليهود المحروق في المنشية ؟ » وفجأة ،
لست ادري ، لماذا بالضبط ، احسست انه يفهمي تماما ، وانه
يتابعني وينتظر نهاية لذلك كله . فمضيت : « سيكون ذلك حدثا
مفيدا فانا اعرف ذلك الهي تماما ، كنا نعيش هناك .. » (١٥) هذا
حوار الرجل الفلسطيني القوي المسلح المؤمن بقضيته ، الفدائي
الذي لا يهاب الموت او العنف ، والذي قرر اخيرا ان يفك قيوده
وان يترك ما تبقى له من النكبة والهزيمة والعار والفقر وضيق
الوطن والعزلة في ارضه ، لقد وضعت الرواية صورتين للفلسطيني
الذي يواجه آثار نكبة فلسطين ، الفلسطيني القتال ، والفلسطيني
المتخاذل الذي رضي بالاستكانة وانتظار خبز الاعاشة وحسنات
الاغانة ، وتقلب في صنوف العار واللذلل للعدو وللظروف المعيشية
البائسة ، والصورة الاخرى للمقاتل الفلسطيني الذي تعمد بالدم
والقتال والعنف ، وحتى عندما ساقه العدو الى ساحة الاعدام
« اكتسى وجهه فجأة وبلا تردد بتلك الملامح الراجعة الجامعة
والمتكررة التي تتخذها عادة وجوه الذين يعرفون انهم سيموتون في
ساحة عامة وتحت انظار الناس جميعا ، وفي سبيل شيء يحترمه
الناس كلهم .. » (١٦) وقد اختار « حامد » بطل الرواية - زمز
جيل جديد من الفلسطينيين ، جيل الدم والعنف - اختار بطل
رواية « ما تبقى لكم » طريق النضال ، وحين فعل صار هو الاقوى
وكف الفلسطيني عن الترقب والانتظار ، ورد العنف الى عدوه
الاسرائيلي ، رد اليه سلاحه في نحره . « ولكنه بدل ان ينظر الى

(١٤) المرجع السابق ص ١٤ و ١٥ .

(١٥) غسان كنفاني ، ما تبقى لكم ، نشر دار الطليعة ببيروت الطبعة

الاولى ١٩٦٦ ص ٧١ .

(١٦) المرجع السابق ص ٤٥ .

كفي ، مضى يراقب السكين الذي أخذ نصلها الغولاذي يتوهج في الضوء ملقاة بين قدمي ، فتناولتها وسحبت نصلها من جديد فوق حافة حداثي ، فانطلق الصرير المحذر كأنه عويل أحيز ، وعندها فقط نظر الى عيني . ولحت في وجهه من جديد ، تلك المسحة الخرساء من الرعب العاجز ، فادركت انه سيكون بوسعي ذات لحظة ان أجز عنقه دون رجفة واحدة ، وان هذه اللحظة ستاتي لا محالة ، تحت وقع البريق الرعب في عينيه ، وصرير نصل السكين فوق حداثي ، والشمس اللاهبة التي كانت تجلد مؤخرة عنقي بسلا هواده .» (١٧)

صدرت روايتنا « رجال في الشمس » و « ما تبقى لكم » قبل النكسة ، وسنختار من أدب غسان كنفاني مجموعتيه القصصيتين « من الرجال والبنادق » و « أم سعد » ، ونلاحظ ان انغماس غسان بالنضال الثوري الفلسطيني كقائد من قادة الثورة الفلسطينية المسلحة وتتابع الاحداث لم يعد يترك له الوقت الكافي للإبداع الروائي ، لذا اكتفى بكتابة القصص القصيرة ورسم بعض اللوحات السريعة مع الدراسات النقدية والسياسية والمقالات الصحفية . ليست هذه كل اعمال غسان كنفاني الإبداعية ، فقد صدرت له بالإضافة الى المجموعتين المذكورتين ثلاث مجموعات قصصية أخرى هي « موت سرير رقم ١٢ » ، « أرض البرتقال الحزين » ، و « هاند الى حيفا » ، ومسرحية واحدة بعنوان « الباب » . كما نشرت مجلة « الحوادث » اللبنانية رواية مسلسلة له بعنوان « من الذي قتل ليلى الحايك ؟ » ولم تجمع بعد في كتاب . ولكن نحن هنا بصدد انتقاء بعض النماذج الدالة على فكره النضالي . وقد أشار غسان كنفاني صراحة كأنما ليرشدنا الى أهمية روايته « رجال في الشمس » و « ما تبقى لكم » - عندما ذكر في ختام روايته (ما تبقى لكم) انه « يعتبر (ما تبقى لكم) و « رجال في الشمس » أحسن ما كتب .» (١٨)

في مجموعته « عن الرجال والبنادق » - الصادرة عن دار الاداب في اكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٦٨ سنجد الحس الاجتماعي والمفهوم الاجتماعي للثورة الفلسطينية يتجسد في مفهوم غسان كنفاني من خلال قصص المجموعة ، وقد أعانته بشاعة النكسة علم رؤية حقيقة المأساة والتسببين فيها ، لقد عرف السبب فراح يطرحه وينظر بوعي ثوري علمي الى المتسببين خطأ الى صفوف الثورة ركونا للموجة بينما يتاجرون بها لانها لا تعنيهم في شيء ، فرأى بالتألي الثوار الحقيقيين والذين تلتخص حياتهم في الثورة . ان البورجوازية تلهو ، بينما الفقراء والبؤساء يجنون في العمل من أجل الثورة . لقد بدلت النكسة غسان كنفاني ، وأخذ يشعر بالذنب لانه آمن في فراشه بينما غيره يقاتل ليزيل عنه عار الهزيمة ، لم تعد الكتابة الثورية كافية ، بل الفعل الثوري : « نمت متأخرا جسدا ، ودق الهاتف باكرا جدا ، كان الصوت على الطرف الآخر ، منتعشا ، يقطا ، يكاد يكون مرحا ، فخورا ، ليس في طياته أي شعور بالذنب . قلت لنفسي - وأنا نصف نائم - هذا رجل يصحو باكرا . لا شيء يشغله بالليل . كانت الليلة ممطرة وعاصفة وراعدة ، ترى ماذا يفعل - في مثل هذه الظروف - الرجال الذين يزحفون تحت صدر العتمة لينبوا لنا شرفا نظيفا ملطفا بالوحل ؟ كان الليل مطرا ، وهذا الرجل على الطرف الآخر من الهاتف : قال لي : لدي فكرة سنجمع العبا للأطفال ونرسلها الى النازحين في الاردن ، الى المخيمات ، انت تعلم ، هذه ايام الاعياد . كنت نصف نائم . المخيمات . تلك اللطخات على جبين صباحنا المتعب ، الخرق البالية التي ترف مثل

(١٧) المرجع السابق ، ص ٧٢ .

(١٨) المرجع السابق ، ص ٧٧ .

رايات هزيمة ، الرمية بالصدفسة فوق سهوب الوحل والغبار والشفقة . » ، « وأنا نائم قفزت الى رأسي الجملة المناسبة : أمضي السيد فلان عظة رأس السنة وهو يجمع العبا للنازحين ، وستقوم نخبة من سيدات المجتمع بتوزيعها في المخيمات . » (١٩) لقد طلبت البورجوازية من الصحفي اعلانا عن قيامها بتوزيع الهبات ، وهكذا تفصل ضميرها الملوث من عار الهزيمة ، كما فعلت في عام ١٩٤٩ في مخيمات اللاجئين التي ضمت غسان كنفاني ذات يوم . « يمكن ان تكون هذه وجوها حقا ؟ كيف استطعنا ان ننظفها بهذه السرعة من الوحل الذي طرشه حزيران فوقها ؟ أصبح اننا نبتسم ؟ .. » (٢٠) وهكذا كانت النكسة اما يعتمر فؤاد الاديب الثوري . فراح يستعرض صور النضال الفلسطيني من قصص المجموعة القصيرة او لوحاتها بالاصح . لقد تحول الى معلم ودارس لتجارب النضال الفلسطيني السابقة ، من اللوحة الاولى « الصغيرة يستدير مرتينة خاله ويشرق الى صفد » تتعرض القصة لواقع الكفاح الفلسطيني البدائي قديما ضد المستعمر الصهيوني بصورة فردية واسلحة عتيقة . ولكن مسألة السلاح لا تهمة ، بل ما يهمه هو ضرورة اشتراك الجميع في المعركة « ولو حمل كل رجل من الجليل عشرين فشكة واتجه الى قلعة صفد لزعناها في لحظة واحدة . » (٢١) وايضا انتقد غسان برجزة ابنن القرية العربي ومفارقة لقريته عندما يكتمل تعليمه ، ليعيش كبورجوازي في المدينة النظيفة حيث النساء اليهوديات الواعيات بدورهن ، بحثا عن المال والمتعة ، غير واع بما يفعله اليهودي المستعمر الذي يجيء مباشرة الى القرية العربية . وفي اللوحة التالية تستمر المقارنة ، فالبورجوازي العربي يتجاهل قضيته الفلسطينية بينما يعمل الصند الاسرائيلي كل شيء من أجل قضيته . ان الفلاح هو الذي يبقى في الارض يدافع عنها ، انها قضيته ، بينما لا يهتم اهل المدن « غريبون اهل المدن ، كان الامر لا يعنيهم . » (٢٢) ويعي غسان هنا بدقة كلمات المناضل العظيم « فرانتر فانون » : « ان طبقة الفلاحين في البلاد المستعمرة هي الطبقة الثورية الوحيدة . ان هذه الطبقة لا تخشى ان تفجر بالثورة شيئا ، بل تطعم ان تكسب بالثورة كل شيء - والفلاح ، النبذ ، الجائع ، هو الانسان المستقل الذي يكتشف قبل غيره ان العنف وحده هو الوسيلة الجديدة . » (٢٣) هذا ما اكنته مجموعة قصص كنفاني « عن الرجال والبنادق » ، قالت « أم سعد » - وهي تمسك فلسطين « أنا متعبة يا ابن عمي ، اهترا عمري في ذلك المخيم . كل مساء القول يا رب ! وها قد مرت عشرون سنة ، واذا لم يذهب سعد ، فمن سيلذه ؟ » « خيمة عن خيمة تفرق » (٢٤) وهكذا لا بد من جيل الدم والعنف فاذا لم يقاتل الفلسطينيون فمن يقاتل ، فلن يخسر الفلسطينيون شيئا سوى خيامهم المهترئة . اما « سعد » فقد ولد من جديد بانضمامه الى صفوف المقاتلين ، تحرر من الخوف والضعف ومن حكم تقاليد المجازر البالية التي كف « حامد » بطل غسان عن سماعها بخروجه الى دائرة الفعل والعنف وتفجيره دبابة العدو . فيالعنف يتحرر المقاتل الثوري من كل الغراشات والحكم البالية ، وبالدم يتعمد الثوري العربي الجديد .

وفي مجموعته القصصية « أم سعد » يوضح غسان كنفاني ان « أم سعد » برغم انها شخصية فلسطينية حقيقية الا انها مع ذلك

(١٩) غسان كنفاني ، عن الرجال والبنادق ، نشر دار الاداببيروت ،

الطبعة الاولى ١٩٦٨ ص ٧ و ٨ .

(٢٠) المرجع السابق ص ٩ .

(٢١) المرجع السابق ص ٢٤ .

(٢٢) المرجع السابق ص ٣٥ .

(٢٣) معذبو الارض ، الترجمة العربية ص ٦٢ .

(٢٤) عن الرجال والبنادق ، ص ١٢٨ او ١٢٩ .

لم يمنعه من الرؤية العلمية والنقد الذاتي للثورة ، ذلك انه كان يعلم بان الثورة - بعد تصفية ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ - في مازق ، وانها تواجه بعد الهزيمة العسكرية في الاردن ، خطر التصفية الجسدية . كان غسان يعني ذلك جيدا ولكن لم يكن يخاف على حياته من التصفية الجسدية التي توقعها بتحليله العلمي الصادق . كان كل حرصه على استمرار الثورة الفلسطينية وتجنبها مازق التصفية الجسدية والسياسية . وفي ندوة عقدتها مجلة « شؤون فلسطينية » لمناقشة « المقاومة الفلسطينية في وضعها الراهن » ، وجه غسان نقده الذاتي للثورة مؤكدا النظرة العلمية للثورة ومهاجما الشعارات والارتجال : « .. عدم العلمية في الثورة . الثورة علم ، هذا الكلام يقوله كل واحد منا ولا يبدو اطلاقا انني اطرح شيئا جديدا ، والثورة علم والصحيح ايضا هو انه كما ان السنكري ليس بالضرورة مطربا فان الفكر الثوري والفكر العسكري المتعلق بالثورة ليس عملية ارتجالية وعملية اطلاق شعارات تتبدل بين يوم واخر . » كان شديد الوعي بان الخطوة في طريق انهاء الثورة الفلسطينية هي التصفية الجسدية ، « نحن نعرف ايضا عسكريا بان الهزيمة العسكرية في ايلول لا تعني شيئا اذا لم تنعكس نتائجها العسكرية سياسيا ونحن نعرف ايضا ان معركة ايلول هي معركة قد تهزم فيها المقاومة عسكريا ولكن عملية تصفية المقاومة جسديا وانها هي العملية التالية . » كان واعيا بازمة محاصرة الثورة الفلسطينية ، لذا فقد وجه النقد الذاتي للثورة لاستكشاف طريق الثورة في الخروج من ازماتها ، وفي تلك الندوة - التي عقدتها مجلة شؤون فلسطينية - اخذ غسان يهاجم الشعارات والفكر النظري بدون عمل وبدون قتال « ولكن المهم بالدرجة الاولى هل تقاتل او لا تقاتل .. فالحقيقة ليست رفع شعارات بل تتطلب نضالا فعليا يجب ان لا تكفي بتعبئة الناس بالشعارات بل المطلوب هو العمل على تنفيذ اهداف متساوية مع الامكانيات المتوفرة . (٢٧) ومع ذلك لم يفقد غسان تفاؤله . فرغم ازمة المقاومة واخطائها وخلافاتها ، فهو موقن بان متابعة تطور حركة الثورة الفلسطينية في السنوات القليلة الماضية « لتبين ان مقدارا مرموقا من التحسّس قد طرأ ، ولا شك انه سيستمر . » واكد ان الخلاف بين اليمين واليسار داخل حركة الثورة الفلسطينية لا تحسمه التصريحات الصحفية او المؤتمرات ، ولكن بالفعل في ميادين القتال : « الجزء الذي سيثبت جدارته للقيادة هو الجزء الذي سيرهن يومنا للجماهير من خلال ممارسته ان الخط الاستراتيجي الذي يتّمسك عليه هو الصحيح . هذه قضية لا تقرر في المجلس الوطني الفلسطيني ولا تقرر في اللجنة التنفيذية ولا بالمقالات ولا بالتصريحات الصحفية . هذه تقرر من خلال الممارسة الميدانية الصبورة والمروية . » (٢٨)

وفي دراسته الهامة « ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ في فلسطين ، خلفيات وتفاصيل وتحليل » يلفت غسان كنفاني انظارنا لاول مرة الى الخلفية الاجتماعية والاقتصادية والطبقية لنزع الارض العربية وتقليل اليهود فيها لان الفلاحين الفلسطينيين لم يكونوا يملكون سوى نسبة ضئيلة من الاراضي ، وبالرغم من ذلك فقد كانوا من الوعي بحيث وجدوا في الغزو الصهيوني خطرا قوميا دعاهم الى بيع اراضيهم البسيطة ليشتروا السلاح لمقاومة الغزو الصهيوني ، بينما يبيع الاقطاعيون العرب الارض العربية للراسمال اليهودي « من خلال انسحاق الفلاح العربي بين كابوس مثلث : الغزو الصهيوني للارض ، والملكية الاقطاعية العربية ، وفداحة الضرائب التي تفرضها حكومة الانتداب ، فان التحدي الذي يأخذ مكان الصدارة هو التحدي القومي . ان كثيرا من الفلاحين العرب الصغار ، في انتفاضة اب ١٩٢٩ وانتفاضة ١٩٣٣ باعوا اراضيهم للملاكين العرب

تمثل كل فلسطين ، فهي من صفوف الجماهير الكادحة التي يجب ان يتعلم منها الثوري والتي عانت مرارة الهزيمة » ولذلك فقد كان صوتها دائما بالنسبة لي هو صوت تلك الطبقة الفلسطينية التي دفعت غالبا ثمن الهزيمة . « (٢٥) وتصور « ام سعد » الرؤيا الفلسطينية بصمد الهزيمة لتقدم الاصرار بدلا من الانهيار وتصمم على المقاومة بالسلاح لا بالكلمات ، بل انها لنكره الكلمات الخطابية قائلا : « بدأت الحرب بالراديو وانتهت بالراديو ، وحين انتهت قمت لافله . » (٢٦) والامل الذي ترقبه « ام سعد » هو في رحلة ابنها « سعد » للكفاح المسلح من اجل تحرير الارض المحتلة . فالامل الذي ترنو اليه فلسطين (ام سعد) بعد الهزيمة يتمثل في جيل الابناء الشبان ، الذين سيقاتلون رغم كل شيء ، جيل العنف والدم ، ولكن « سعد » يقع في الحبس ويرفض ان يوقع مع زملائه اقرار بالرضوخ للامر الواقع وتسر « ام سعد » لان سعدا صمم على الثورة وعلى القتال . ولانه قرر مع رفاقه الشبان الا يوقعوا اية اقرارات بالرضا بالامر الواقع اية تسويات ، فهو يرفض الواقع ، واقع الهزيمة ، وهو بذلك يصمم على النضال ضده . وحين ذهب « سعد » لينضم الى صفوف الثوار بالفعل ، فرحت « ام سعد » ولم تحزن . ويصور لنا غسان كنفاني بدقة حنان الام وقلقها على ابنها ، مع املها في ان يحقق هدفه في محاربة العدو على الفور . وغسان كنفاني حريص في كتابه « ام سعد » على الجمع بين امرين ، الواقع والرمز . فهو يقدم لنا « ام سعد » اما واقعية تعطف وتشوق وتقلق على ابنها وتتمنى ان تطعمه بيدها . ثم يقدمها لنا في صورة الام الكبيرة ، الرمز ، فلسطين الشامخة رغم مآسي عشرين عاما من الغربة والتشرد وحياة الخيام . وهو يصور لنا آلام الام الرمز ، الام الكبرى ، وقد عاشت عشرين عاما في خيام في مهب الريح والمطر والوحل والفقر والجوع والضياع ، شامخة رغم كل ما عانت .

اما « سعد » فقد رأى الوحل يزحف على الخيام ، وحذر الرجال قائلا « ذات ليلة سيدفنكم الوحل . » وصمم على رفع الوحل . وراح يحارب ويهدي في كل ليلة انتصارا صغيرا الى امه المنتظرة الفاتحة الواقعة رغم كل هذا من شجاعة ابنها الثوري الفلسطيني ومقدرته الفائقة على تحقيق ارادته . ورأى « سعد » امه في كل مكان بالارض المحتلة . تطعمه حين يجوع ، وتحيطه ورفاقه بخنائها ورعايتها . فالرمز في قصص غسان كنفاني بسيط كالفصل نفسه . والفصل عبارة عن لوحات فلسطينية تربطها شخصية واحدة هي « ام سعد » ، التي لا تكفي بالتأييد المعنوي للثوار وبنضال ابنها ، ولكنها تعمل ما بوسعها دفاعا عن القيمات كلما هاجمتها طائرات العدو الوحشية ومن تراث المقاومة الفلسطينية الاولى يردد غسان كنفاني الدروس محذرا من وضع السلاح او اتخاذ طرق جانبية غير القتال . ويرينا غسان كيف ظهرت الحرب الثورية العقلية الفلسطينية - لام سعد - من الخرافات ، التي طرحت الحجاب القديم الذي كتبه مشعوذ وعلفته عشرين عاما حتى فقدت كل شيء . لذا استبدلته « ام سعد » بحجاب جديد به رصاصة رمزا للقوة والنضال لا للتواكل والاستسلام . بالجملة لقد صور لنا غسان كنفاني في مجموعته القصصية « ام سعد » كيف غيرت الثورة الفلسطينية من وضعية الفلسطيني ، من حياته وفكره وسلوكه اليومي . لقد وجد الاطفال طريقهم في التدريب على السلاح . وكف الاباء مثل ابي سعد عن اخلاق القامرة والضياع ، وصاروا يجيئون احاديث النضال والسلاح.

وكما فجر غسان كنفاني في بيروت بركانا من الكتابات النقدية والابداعية ، كذلك فجر بطلنا الشهيد ثورة في الثورة بنشاطه السياسي وكتاباته السياسية . وكون غسان كنفاني احد قادة الثورة الفلسطينية

(٢٧) مجلة شؤون فلسطينية ، العدد الثاني ، مايو (ايار) ١٩٧١ ، ص ٦٢ و ٦٣ .

(٢٨) المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٢٥) غسان كنفاني ، ام سعد ، نشر دار العودة ببيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٩ ، ص ٨ .

(٢٦) المرجع السابق ، ص ١٤ .

غسان كنفاني وادبه ، ذلك الانموذج الجديد للكاتب الثوري العربي المتزعم بالكلمة وبالفعل بتطابق تام بلا انفصال شبكي كالمعاد في حياتنا الفكرية والسياسية . والان يجب الا نغفل منا هذه التجربة بحال من الاحوال . يجب ان نستقيها وان نستثمرها في خلق جيل جديد من الكتاب الثوريين العرب ، الكتاب المقاتلين . فهكذا يكون احترام تضحية غسان واستشهاده ، لقد دفع دمه ليعتمد به الثوري العربي الجديد ، بالعرف والدم والفكر الثوري المناضل . ان دم غسان كنفاني وقود ضروري لاشعال الثورة والعنف وليلاد نوعية جديدة من الثوري العربي ، ثوري لا يكتفي بلغة الكلام والبيانات والبحث عن التسويات والربع من العنف والدم ، بل انه يقابل العنف بالعنف ، لان هذا هو الطريق الوحيد لتحرير الجماهير من الاستكانة والذل والربع والخرافات ، كما كتب « فرانتز فانون » : « ولكن حين يبغي كفاح التحرير ، فان هذا الشعب الذي كان قبل ذلك مقسما الى طوائف وهمية ، هذا الشعب الذي كان فريسة رعب هائل لا يفلح ، وكان مع ذلك سعيدا بضياحه في زوينة الاوهام ، يتبدل انشاء كفاح التحرير ، وينظم نفسه تنظيميا جديدا ، ويخلق في وسط الدم والدموع مهمات واقعية جدا ، مباشرة جدا .. » (٣١)

وبعد ، لم اقصد بهذه الصفحات كتابة دراسة نقدية تتسم « بالبرود الموضوعي » - كما كان يقول الشهيد غسان كنفاني في كتابه « ادب المقاومة في فلسطين المحتلة » - او صياغة كلمات الرثاء - الذي وصمه غسان « بنواح الامل » في روايته « رجال في الشمس » - فرغم سخامة الكارثة فرديا وثوريا وقوميا وفنيا ايضا - رغم كل ذلك ، فاني اريد لهذه الصفحات الارتفاع الى مستوى التجربة الثورية ، والتضحية النضالية ، والتعميد بالدم الثوري العربي الجديد ، الذي بدأ يغي ضرورة العنف الثوري ويوقن انه الطريق الوحيد لمواجهة العنف الاستعماري . ولقد تغير العدو من اجيال الحلم والفكر الى جيل الدم والعنف فلا بد من مواجهته بجيل عربي مماثل بالدم والعنف . وقد تابعت رغم البعد صورة الجنائز التي تحولت الى مظاهرة ودعوة لمواصلة النضال المسلح ، واكثر ما هزني في الجنائز - وشدني الى قيمة تضحية غسان كنفاني الثورية ، صورة ابنه فايز ، ابن العاشرة - ممثل جيل الدم والعنف - مرفوعا على اكتاف المتظاهرين والمقاتلين ، رافعا اصبعه بعلامة النصر (V) . نعم ان الثوري العربي يعتمد بالسهم ، والاصرار يتزايد والقضية ترسخ ، فبذلك تكون تضحية غسان كنفاني النضالية والثورية ، دفعة قوية لقضية النضال العربي ، ويصبح دم الشهيد تعميذا للثوري العربي الجديد .

(٣١) معذبو الارض ، الترجمة العربية من ٥٩ .

أحمد محمد عطية

القاهرة

مكتبة النوري

دمشق - تجاه البريد العام

وكيلة منشورات دار الآداب وكبرى
دور النشر اللبنانية والعربية في
القطر السوري .

الكبار كي يشتروا بائمانها سلاحا لمقاومة الغزو الصهيوني والانتداب البريطاني . ان الغزو الذي يتحدى طراز عيش له نفوذ الدين والتقليد والشرف ، هو الذي مكن القيادات الاقطاعية - الاكبرية من مواصلة لعب دورها بالرغم من الجرائم التي ارتكبتها ، ففي كثير من الحالات كانت العناصر الاقطاعية التي تشتري تلك الارض تبيعها للرسممال اليهودي . (٢٩) لقد وقع عبء الاستعمار الاستيطاني اليهودي على عاتق العمال والفلاحين الفلسطينيين دون غيرهم ، بينما كانت الاقطاعية الفلسطينية المنسوبة في ضياع فلسطين ببيعها الاراضي لليهود ويتحالفها مع الامبريالية . وقد توصل غسان كنفاني الى نتيجة هامة في دراسته لاسباب فشل ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ الفلسطينية وآثارها التي لازمت القضية الفلسطينية حتى هزيمة عام ١٩٦٧ بارجاعها الى القيادات الرجعية المحلية ، والانظمة العربية ، والحلف الامبريالي الصهيوني . وتتميز هذه الدراسة السياسية الهامة بعدة ميزات : جلد غسان كنفاني على البحث والتحليل واستخلاص النتائج ، الفهم الاجتماعي والنضالي لغسان ، تحرر غسان من القولية العقائدية في فهمه للعلاقة الجدلية المستمرة بين الدين والنوازع الوطنية في الدول المتخلفة من خلال دراسته لاهمية الحركة القسامية (نسبة الى الشيخ القسام مفجر ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ الذي وضعه غسان في مرتبة جيفارا) ، وايضا في اشادته بالطابع النضالي للادب الفلسطيني ودوره الطليعي مع نقده للثقافة الشعبية التقليدية الانزيمية ، التأكيد على دور الطبقات الكادحة في الثورة الفلسطينية . الاستفادة من تاريخ الثورة الفلسطينية في تخطي اسباب هزائنها وانتكاساتها ، والتفائل الثوري العلمي فسي امكان احراز النصر الكلي عن طريق تحقيق الانتصارات اليومية الصغيرة وتراكمها . الا يشير كل هذا الى تفرد غسان كنفاني كاديب ثوري مقاتل، مسلح بوعي وفكر علميين ، لا تنفصل عنده القضية عن الحياة ، بل يتوحد الفكر والفعل والسلوك في سيمفونية ثورية عظيمة . والان يعتمد الثوري بالدم والعنف متخطيا كل سلبات الادب والفكر والعمل الثوري .

ان غسان كنفاني انموذج فذ للادب المقاتل ، والمناضل بالكلمة وبالسلاح ، هذا الانموذج العظيم للاديب العربي المتميز بالوعي والثقافة والاصرار والفعل الثوريين . يجب ان نخصص له الدراسات والكتب والاعداد الخاصة لتثبيت دعائمه في وجداننا وعقلنا . وفي هذا السبيل ارجو ان تصدر دار الآداب - وقد نشرت كتابين من مؤلفاته - عددا خاصا ممتازا من مجلة الآداب لدراسة انموذج التجربة النضالية للثوري العربي الجديد المتجسد في غسان كنفاني ، فليكتب عنه رفاقه فسي السلاح ونقاد الادب وكتاب السياسة والشعراء والفنانون ، فهذا الانموذج يجب الا يضيع في زحمة الاخبار اليومية كاي خبر عادي . وايضا يجب تجميع كل كتاباته في مجلدات تستوعب اعماله كاملة ، وتلك مهمة تنوء بحملها اية مؤسسة نشر فردية ، ومن ثم فان عائقها يقع على مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية كجزء من المهمة الثقافية والثورية الجلية التي يقوم بها مركز الابحاث الفلسطينية .

لقد توارت تجربة غسان كنفاني النضالية خلال اوارها وممارستها في حياته لاسباب كثيرة ، ولم يشعر بقيمتها ودلالاتها كينوع للنضال وميلاد للاديب الثوري المناضل المتوحد فكرا وسلوكا والذي يعيش قضيته ليل نهار حتى لتكاد تجري في دمه - لم يشعر باهمية هذه التجربة النضالية وثرانها وخطورتها سوى العدو (٣٠) وقلة من المتهمين بنضال

(٢٩) مجلة شؤون فلسطينية ، العدد السادس يناير (كانون الثاني)

١٩٧٢ ، ص ٥١ و ٥٢ .

(٣٠) كتبت صحيفة العدو الاسرائيلي « دافار » قائلة : « ان نهابة

غسان كنفاني تعد نهاية منطقية لحياته التي كرسها للجريمة (؟)

(النضال الثوري) . فهناك عدالة ثابتة (كذا !) تحول الصرخة

الى انلجار ويفطر المجرمون (المناضلون) الى دفع ثمن اعمالهم .

نقلا عن جريدة « الانوار » البيروتية ، عدد ١٠ يوليو (تموز)

١٩٧٢ .